المحاضرة رقم02: اتّجاهات النّقد الأسلوبيّ

1-الأسلوبيّة التّعبيريّة-شارل بالي

****تمهيد:***

شارل بالي(1865-1947) سويسري ولد بجنيف، ودرس فقه اللّغة، وهو تلميذ لديسوسير ومتأثّر بأفكاره اللّسانية، كان أستاذا في الدّراسات اللّغوية العامّة، وكتب أبحاثه بلغات عديدة منها الألمانيّة والفرنسيّة والنّرويجية، وإليه ينسب علم الأسلوب، بفضل مجهوداته الرّائدة فيه، لا سيّما بعد تأليفه لمجموعة عديدة من الكتب الّتي توضّح مساره العلميّ في مجال البحث الأسلوبيّ، كان أبرزها: الأسلوبيّة الفرنسية(1902)، اللّغة والحياة(1913)، اللّسانيات العامة واللّسانيات الفرنسيّة(1932)، الأسلوبيّة الفرنسيّة(1951).

وقبل التطرّق إلى الاتّجاهات المختلفة للأسلوبيّة حري بنا أن نشير إلى ملاحظة هامّة؛ ألا وهي أنّ اختلاف الاتجاهات في الأسلوبيّة قد يعود إلى أمرين بارزين:

-أوّلهما أنّ اللّغة الّتي تشتغل عليها الأسلوبيّة ليست حكرا عليها فقط، بل هي مادّة خام للعديد من العلوم والمعارف.

ثانيهما يعود إلى اختلاف الدّارسين في تعريف مصطلح الأسلوب في حدّ ذاته؛ "إنّ الأسلوب مفهوم عائم، فهو وجه بسيط للملفوظ تارة، وهو فنّ واع من فنون الكاتب تارة أخرى، وهو تعبير يصدر عن طبيعة الإنسان تارة ثالثة، ولذا فهو يتعدّى دائما الحدود الّتي يدّعي بأنّه انغلق عليها"[1].

****مفهوم أسلوبيّة التّعبير:***

وتسمّى أيضا بالأسلوبيّة الوصفيّة؛ ويعرّف "بالي" علم الأسلوب بأنّه: "العلم الّذي يبحث في لغة جميع النّاس، بما تعكسه-لا من أفكار خاصّة-بل من عواطف ومشاعر، وأنّ موضوع الأسلوبيّة هو لغة كلّ النّاس، فجميع الظواهر اللّغوية بمستوياتها المختلفة يمكن أن تكشف عن الخّواص الأسلوبيّة في اللّغة"[2].

[1] بيير جيرو: الأسلوبيّة، تر: منذر عيّاشي، مركز الإنماء الحضاري، دار الحاسوب للطّباعة، حلب، سوريا، ط02، 1994، ص57.
[2] محمّد شومان: تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظريّة، ونماذج تطبيقيّة، الدّار المصريّة اللّبنانية، القاهرة، مصر، ط01، 2007، ص36.

لقد ركّز "بالي" على اللّغة المنطوقة، العاديّة، لغة عامّة النّاس، وليس على لغة الأدب؛ لأنّها حاملة للكثير من التّعقيدات[3].

استبعاد اللّغة الأدبيّة عند "بالي":

ما ينبغي ذكره أنّ "بالي" لا يعير أيّ اهتمام للّغة الأدبيّة؛ لأنّها ترتكز أساسا على الشّعور المتعلّق بالانطباعات والإيحاءات والقيّم الجماليّة، و"أسلوبيّة التّعبير كما صمّمها "بالي" تعبيريّة بحتة ولا تعنى إلاّ بالإيصال المألوف والعفويّ، وتستبعد كلّ اهتمام جماليّ أو أدبيّ"[4].

ابتعد "بالي" عن اللّغة الأدبيّة (لغة العدول والانحراف والمجاز والتّجاوز...ليبحث في اللّغة العادية عن العفويّة والعاطفة ودراسة التّعبير في سياقه الوجدانيّ ليقترب من حقيقة النّاس.

هكذا يتّضح لنا أنّ الدّرس في أسلوبيّة التّعبير لدى "بالي" يقوم على "إبراز دور العلاقات الّتي تربط بين الشّكل اللّغويّ والتّعبير الوجدانيّ المتضمّن فيه، ولكّنها لا تتجاوز في الوقت نفسه حيّز اللّغة من حيث هي حدث لسانيّ لخطاب نفعيّ، يتجلّى في استعمال النّاس له في حياتهم الإيصاليّة اليوميّة"[5].

الانتقاد الّذي وجّه لأسلوبيّة التّعبير:

اعتبار الأسلوب ناتج فقط عن الشّحنات العاطفيّة الّتي يستخدمها المتكلّم للتّعبير عمّا قد يواجهه من مواقف، أو بمعنى أنّ الشّحنات العاطفيّة الّتي يواجهها الشّخص هي الّتي تدفعه إلى اتّخاذ أسلوب معيّن في الكلام بشكل عفوي دون تفكير، هو الّذي جعل الدّارسين من بعده ينتقدونه؛ حينما أرادوا نقل أسلوبيّة التّعبير إلى النصّ الأدبيّ، هذا الأخير الذّي لا يقوم على العفويّة على الإطلاق، بل فيه جانب فكري واضح المعالم.

[3] صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشّروق، القاهرة، مصر، ط01، 1998، ص18.
[4] بيير جيرو: الأسلوبيّة، ص44.
[5] منذر عيّاشي: مقالات في الأسلوبيّة، اتّحاد الكتّاب العرب، سوريا، 1990، ص45.